«شيفرة دافنشي» الفيلم ليس أفضل حالا من الرواية:

لهاث ومطاردات مملة في كنائس أوروبا ورون هاوراد في بحثه عن الاشباح نسي جماليات اللوفر وباريس في الليل!

ابراهيم درويش*

■ قرأتم الرواية والان جاء الفيلم. في الرواية الكثير من الكلام ولا مشاهد، في الفيلم صور كثيرة ولكن دون قصة. دان براون ليس كاتبا عظيما، ويعترف ان ما قدمه في كتابه الشهير جدا، شيفرة دافنشي، ليس جديدا بل هو معروف منذ زمن طويل. توم هانكس لا علاقة له بشخصية لانغدون. هذه هي الانطباعات الاولى التي تسجل عن فيلم «شيفرة دافنشي»، القائم على الرواية الذائعة الصيت التي كتبها دان براون. ولكن ما يميز الفيلم الجديد القائم على الرواية هو انه يواصل تقاليد الاوصاف العظيمة عن العمل، فكل شيء فيه يشير «للاعظم والاكبر»، فالرواية باعت اكبر الارقام (40 مليون نسخة)، والرواية هي عن الافكار الكبيرة عن الدين، والفيلم هو «اضخم افلام العام»، والعبارة الاخيرة ليست في محلها، لان الفيلم وعلى الرغم من مواقف العديد من الجماعات المسيحية منه، فهو ليس كبيرا او عظيما، بل اسوأ من الرواية التي يعترف كاتبها ان افكارها ليست جديدة. وقد المحنا في قراءة سابقة الى ما قاله الروائي والناقد الايطالي المعروف امبرتو ايكو من ان الفكرة عن السر الدفين في المسيحية معروفة في دائرة الشائعات منذ قرون، والتقطها دان براون وحولها الى قصة باعت الملايين. دان براون كان في الاخبار طوال العام، فقد خاض معركة قضائية مع مؤلفين اتهماه بسرقة الكثير من افكارهما وما ورد في كتابهما، وخسر الكاتبان القضية لصالحه ثم جاء الفيلم الذي بدأت عروضه البريطانية يوم الجمعة ولقي احتفاء باردا من النقاد في مهرجان كان السينمائي الدولي.

قصة شيفرة دافنشي، صارت معروفة وجزءاً من المعزوفة الشعبية عن المؤامرات التاريخية، والفيلم الجديد هو محاولة لتحويل المؤامرة الى قصة بصرية، خاصة ان معركتها الاولى تبدأ في متحف اللوفر الفرنسي، وجريمة قتل تقود الى تحقيق وملاحقات طويلة. في مركز القصة، السر، الذي ضمنه ليورنادو دافنشي في عمله الفني الشهير «العشاء الاخير» عن العلاقة بين السيد المسيح ومريم المجدلية، وفكرة العلاقة الجسدية بينهما، مما يؤدي الى نزع القداسة عن اخص المعتقدات المسيحية، وعن المسيح الفادي، ولهذا السبب عارضت الكثير من الدول عرض الفيلم واستنكرته الكنيسة المسيحية، باعتباره تجديفا، وهجوم الكنيسة على الفيلم على طرف النقيض لاحتفائها بفيلم «آلام السيد المسيح» الذي استعرض بصورة قاسية صورة السيد المسيح في طريق الآلام قبل الصلب.

كل هذا يعزز الشعور بان «شيفرة دافنشي» هو عن «النفج والنفخ»، فبراون ليس كاتبا ولا مفكرا اصيلا، المشكلة في فيلم دافنشي انه لا يوجد لديه ما يقوله فيما لا يوجد لدى براون ما يقدمه لجمهور قرائه.

الفيلم الجديد سلمته هوليوود الى المخرج المعروف رون هاوارد، وهو الذي قدم فيلما جميلا عن اسرار وجنون عالم الرياضيات المعروف جون ناش، في فيلم «عقل جميل» لكن قدرات هوارد على تفكيك شفرة دافنشي لم تحظ باجماع، فالنقاد والقراءات التي قدمت عن الفيلم على جانبي الاطلنطي عبرت عن خيبة الامل بالفيلم، الطويل والممل، بلا حبكة او قصة تجمع اطرافه.

رواية براون يطلق عليها اسم «اقلب الصفحة» لان احدا لا يرغب في تضييع وقته واكمال صفحات الرواية، وهنا في الفيلم الذي يعتبر اول تعاون بين توم هانكس، وهوارد منذ ان مثل الاول في فيلم ابولو 13، هو بمثابة «نم في المشهد»، وهو ليس احسن من نص الرواية. ومع ان نص الفيلم كتبه يهودي هو اكيفا غولدزمان، وتعاون فيه براون نفسه حيث كتب عددا من الاغاني للفيلم، وظهر اسمه في نهاية الفيلم «شيفرات اضافية: دان براون»، الا ان لا أحدَ من الذين شاهدوا الفيلم وكتبوا عنه أُعجبَ به، فهو قطعا ليس فيلم الصيف الذي تجب مشاهدته.

يبدأ الفيلم بمشهد يجمع بين ما يشبه المحاضرة عن فكرة الرمز او «الايقنة» والعمل المشبوه في متحف اللوفر، وفي مركزه توم هانكس (روبرت لانغدون)، فالمتحف يشهد عملية اغتيال لمديره وقيمه العجوز جاك سونيه (جان - بيير ماريل) حيث يقتله الراهب سيلاس (بول بيتاني). قبل ان يلفظ انفاسه يزودنا سونيه بعدد من المفاتيح التي ستقود الى حل لغز اغتياله وكلها كتبها بدمه وتدور حول لوحات فنية. المحقق الكابتن فاشيه (جون رينو) يحضر الى مشهد الجريمة لانغدون وصوفي نيفو (اودري توتو)، والسبب الذي يجعل الكابتن فاشيه يحضر هذين الشخصين هو ان لانغدون، استاذ علم الرمزيات والشيفرات في جامعة هارفارد كان صديقا لسونيه، اما صوفي فهي خبيرة في الشيفرات والخطوط وحفيدة القتيل. بعد جمع الادلة من مكان الحادث، يختفيان لمدة يومين حيث يتواصلان بالاشارات ويتحدثان عن الكثير من القضايا، الكأس المقدسة، نشوء المسيحية. ويبدو ان وراء دعوة الكابتن فاشيه للاستاذ الامريكي محاولته لتلبيسه القضية لولا هرب لانغدون مع نيفو، حيث يلاحق المشاهد محاولات الاثنين الهرب من ملاحقة الشرطة الفرنسية والبريطانية. ومع ملاحقة محللي الشيفرات لادلة ومفاتيح عن الادلة غالبا ما تقود الى اكتشافات غريبة وعجيبة ومواجهات في كنائس في انكلترا واسكتلندا وفرنسا. شيفرة دافنشي الفيلم والرواية هو فيلم عن المؤامرة التي لا تقبل اي شيء في ظاهره، اي لا تعترف بالتاريخ، وتعرف ان هناك قوى تعمل في الظلام منذ الفي عام لحماية سر وحجبه وخداع الجماهير. اي ان الكنيسة المسيحية خدعت المؤمنين الذين آمنوا بقداسة وقدسية السيد المسيح، في الوقت الذي تقوم به جمعية سرية «اوباس دي» تضم رجالا أخياراً ومن اصحاب القلم والريشة والفكرة «اسحق نيوتن، ليوناردو دافنشي، وقيم المتحف» من بين عدد آخر يعملون على حماية احفاد المسيح الانسان وعروسه مريم المجدلية. فيلم شيفرة دافنشي يجمع في حبكته بين الفيلم الذي مثل فيه هاريسون فورد «انديانا جونز» وسلسلة افلام «هاري بوتر». وفيه ايضا شبه بآلام المسيح، خاصة ان الراهب القاتل سيلاس الذي ينقل تقاريره الى رئيس جماعة اوباس دي، الاسقف مانويل ارينغاروسا «الفريد مولينا» فيما يقوم الراهب سيلاس بقتل الراهبات، وجلد وتعذيب نفسه بطريقة تذكر بميل غيبسون في آلام السيد المسيح».

لم يحظ فيلم «شيفرة دافنشي» بتعليق جيد، بل على العكس، تسابق النقاد في نحت كل الاوصاف المشينة المرتبطة به، فهذا معلق يصف الفيلم بانه «قاتم، موحل، وصور الاشباح التي تحوم حول كنيسة ويسستمنستر لحضور جنازة اسحق نيوتن، محرجة» واضاف قائلا ان استعادة الماضي البيزنطي والحروب الصليبية ومحاكم التفتيش تذكر بافلام يصنعها عادة طلاب مدارس الفيلم. اما ناقد اخر، فقد كتب يقول «يا للحسرة، هذا ليس فيلماً تجب مشاهدته في الصيف، بل هو فيلم مثير للحسرة ومخيب للآمال من البداية حتى النهاية».

وفي نقد اخر «الكتاب (شيفرة دافنشي) الذي تلاحقك تفاهته داخل الغرفة، رواية عقيمة، واهانة لقرائها من اصحاب الاعمار المتوسطة الذين يعيشون في اوهايو الامريكية ويفكرون بزيارة اوروبا لاول مرة».

ولم يساعد هذا اداء توم هانكس الذي يبدو وكأنه لم ينس دروه في فيلم «فوريست غام»، في مشهد مثير للضحك، عندما كان هانكس ملاحقا وتوتو في شوارع لندن، يتذكر قائلا «يجب ان اسرع نحو المكتبة»، وفي مشهد اخر عندما يكتشف اهمية لوحة موناليزا لتحقيقه، تشير عليه نيفو ان اللوحة «معلقة هناك»، كما يقول هانكس في مناسبة اخرى «يبدو انني دخلت في شيء لا اعرفه»، وهو تعبير واضح عن حيرة هانكس ومخرجه الذي لا يعرف التعامل مع الافلام القوطية او افلام الاثارة البوليسية. هناك اجماع على ان توم هانكس لم يقدم عمقا للقصة، بل ان معالجة الفيلم لشخصية لانغدون، اقل تفصيلا ووضوحا من حضورها في الرواية. سير ايان ماكلين «سير لي تيبنغ»، الخبير بالكأس المقدسة كان اداؤه جيدا، خاصة عندما شرح لتوتو رمزية «العشاء الاخير» الذي كان في مركز كتاب ورواية براون. لانغدون لايفتح فمه الا ويعطي محاضرة او يرمي نكتة بين الفينة والاخرى. قد يكون هانكس مناسبا للدور هذا الا ان شخصيته لا عواطف فيها او عمقاً، وبالنسبة لتوتو فقد تصلح لفيلم كوميدي اكثر من فيلم اثارة وبوليسي. ولكن ما يميز هذا الفيلم انه وضع الرواية في مركز الانتباه وكشف اسرارها.

مشكلة هوارد انه تعامل مع نص كتبه دان براون، الذي كان مهتما اكثر بالاثارة او الامتاع، ويتعامل مع التاريخ عبر فكرة الكلمات المتقاطعة، ويريد امتاع قرائه بطريقة الدليل السياحي الذي يريد تقديم كل شيء تعلمه خلال عمله كدليل، ولهذا السبب لم ينجح كاتب النص في بناء سيناريو الفيلم بحيث يقدم لنا المعلومات الضرورية لفهم لغز الاثارة هذا.

فمسار الفيلم يقوم على خط واضح، ملاحقات في السيارات وبعدها اطلاق رصاص وهكذا، وحتى مشاهد الحركة هذه لا تؤدي لتصاعد التوتر في الفيلم بل تؤثر عليه. المشكلة الاخرى في الصور المستعادة او الفلاش باك التي وان سمحت لهوارد بالحرية للحديث عن تاريخ الكنيسة وحياة ابطال الفيلم الا انها تشبه الاحلام او اضغاث الاحلام. هاوراد وان تعامل مع سيناريو مركزه متحف اللوفر، الا انه لم يستخدم جماليات الفن بما فيه الكفاية، باريس في الليل مثلا، ولهذا جاء الفيلم باردا ومملا. لان الفيلم عن الحبكة والقصص الكثيرة فهو بلا بطل ولا شخصية رئيسية، وانتهى الفيلم الى ملاحقة، ولهاث، واحاديث عابرة عن الدين، والرموز، ولكن بلا حس درامي يصنف الفيلم كنوع من الاثارة البوليسية الجادة، ومن اراد فعلا قراءة عمل يحمل هذا الحس الدرامي الوسيطي، فعليه العودة الى اعمال امبرتو ايكو، خاصة «اسم الوردة». ليس هناك حاجة للتذكير بالاطار «التاريخي» للرواية والعمل، فهذا صار معروفا ومتاحا لكل من قرأ العمل، ولكن ما اجمع عليه كل النقاد ان فيلم هوارد لم يرق الى فيلم يجعله «فيلم الافلام» في موسم الصيف القادم، وما دام كل شيء اصبح تحت الشمس، فلننتظر تموز (يوليو) موسم افلام هوليوود لنعرف مصير هذا الفيلم الذي يداور في منطقة اللامعلوم ويلهث في مدن وكنائس اوروبا. ظاهرة «شيفرة دافنشي» استدعت الكثير من الردود و الكتابات الكثيرة عن اصالة العمل، والدفاع عن العقيدة المسيحية، ضد هرطقات الرواية، ولكن ظاهرة الرواية تظل مدعاة للتساؤل، فمبيعاتها الكبيرة نوعا ما واقبال الناس عليها، هي في صورة من الصور ليست الا بحثا عن الاشياء الخارقة، ضمن هذا السياق يمكن تفسير نجاح العمل هذا بنفس الطريقة التي نجحت فيها اعمال اخرى ذات طابع سحري، «هاري بوتر»، والعودة الى اعمال تولكين «نارنيا»، واعمال الكاتب البرازيلي باولو كويلو، فهناك نوع من الحنين الى عوالم سحرية، خيالية، يبدو ان هذه الاعمال تستجيب لها.

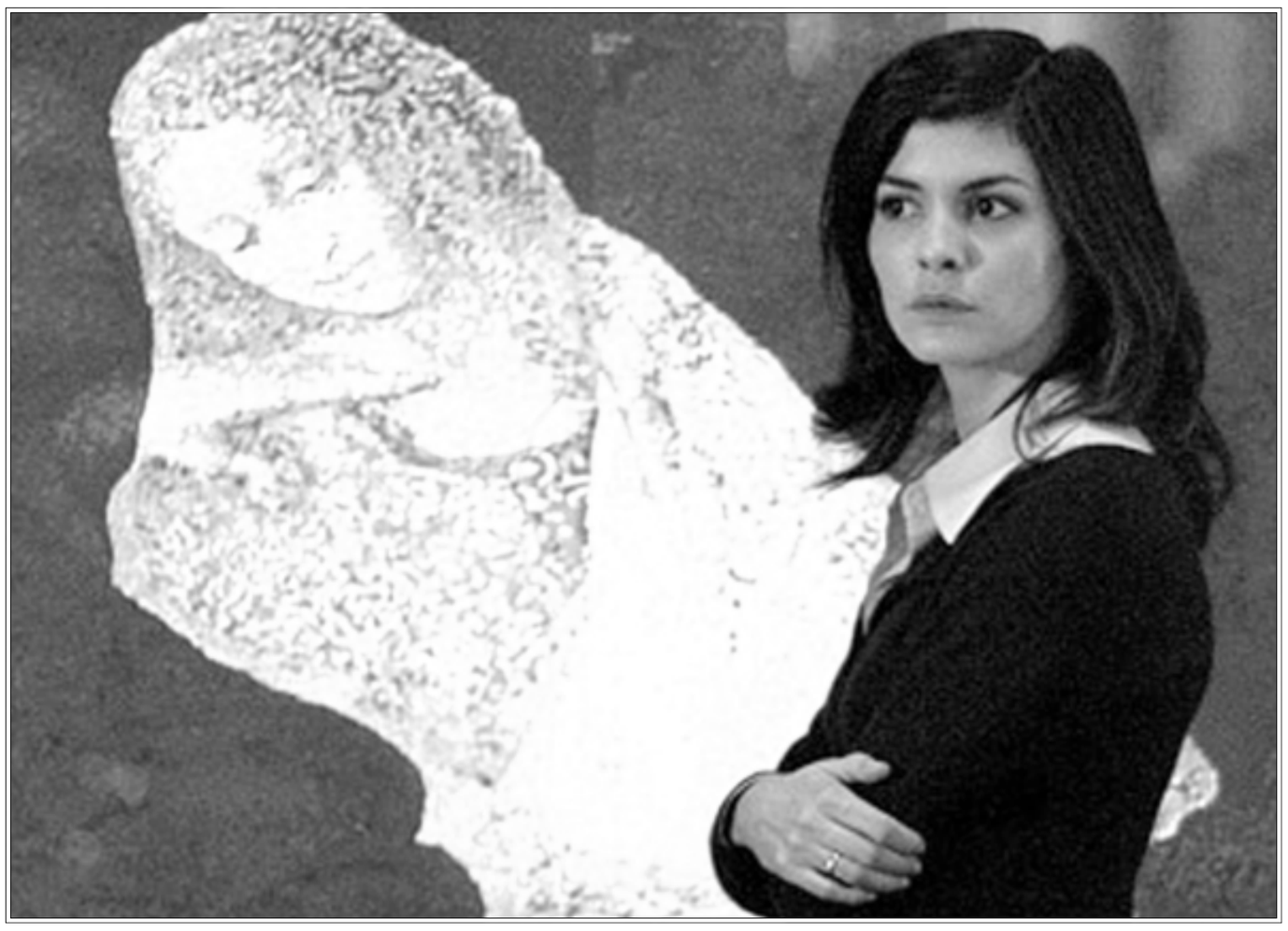

لقطة من فيلم «شيفرة دافنشي»

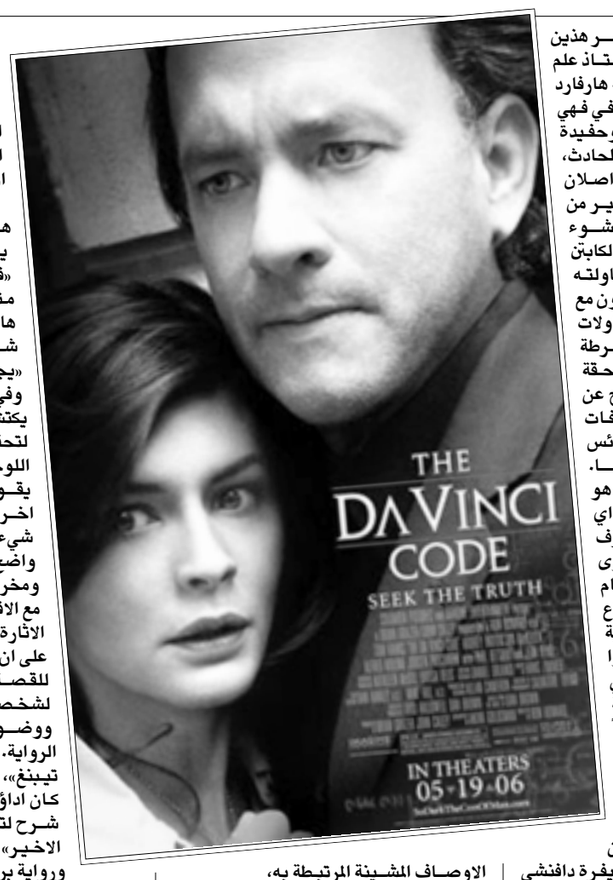

* ناقد من اسرة «القدس العربي»

تداعيات

جريمة ميشيل كيلو!

علي كنعان*

■ أية جريمة فظيعة ارتكبها ميشيل كيلو حتى يبيت ليله في ظلمة المعتقل، وقد تجاوز الخامسة والستين من عمره؟! هل نسي أن يجعل حسابه سريا في المصارف الأمريكية.. أم تلقى دعما من الكتلة الصهيونية في الكونغرس العتيد؟ أم أن «ساداتنا» اكتشفوا بعبقريتهم البوليسية المذهلة أنه اختار نوع الدبابة الأمريكية التي سيحتل بفضلها منصبه الموعود في المرحلة القادمة؟ أم لعلهم تسللوا إلى أحلامه فتبين لهم أنه كان يراود أطيافا محرمة من الحرية والعدالة وسيادة القانون وكرامة المواطن؟ أم أنهم ضبطوه متلبسا بجريمة التفكير بالجولان وما شابه من الأمور «الثانوية» التي فرضوا علينا ضرورة تناسيها ونفيها من الذاكرة؟!

أسئلة كثيرة، جارحة وموجعة، تضغط على الروح وتوشك أن تخنقها قبل أن تصل إلى الرأس والقلب والوجدان.

هذا الكاتب الوطني المستنير والصديق العزيز، لم يكن أبدا من أنصار البلاغ «رقم واحد»، سواء كان فرسانه ذوي صبغة وطنية خالصة.. أو كانوا من العائدين في ظل البوارج القادمة من أطراف القواعد الإمبراطورية المنتشرة في العالم من أوكيناوا اليابانية حتى أمريكا اللاتينية.

لقد قام بعض الكتاب من قصار النظر في المعارضة السورية باتهامه أنه يمالئ السلطة ويسعى إلى إرساء جسور للحوار مع بعض أطرافها، وكأن تجربة العراق ـ على دمويتها ـ هي النموذج المرتجى. واليوم يقوم عدد من صغار أزلام النظام البوليسي بالهجوم عليه ومحاولة تجريده من تاريخه الوطني المعروف، على امتداد الوطن العربي، بأنه من دعاة إنعاش المجتمع المدني وإنجاز البناء الديمقراطي.

واللافت للنظر أن الموقع الإلكتروني الذي يفتح صدره لهذا الهجوم الظلامي الغاشم كان صاحبه من أشد المنادين بإسقاط السيد فاروق الشرع وتحميله كل تبعات السياسة السورية لصالح السيد خدام! لكن ذلك المخلوق الإمعة سرعان ما لعق كلماته ومواقفه السابقة واحتمى بأحذية الجناح المنتصر، ولو إلى حين، بانتظار ما سوف تتكشف عنه اتجاهات الريح القادمة!

الطريف في حملة الهجوم على ميشيل كيلو، من خلال تفنيد بيان المثقفين السوريين ـ اللبنانيين، أن أبواقها بلا أسماء. إنهم لا يجازفون حتى بذكر أسمائهم الأولى ولا يجرؤون على ذلك، مع أنهم يكتبون في موقع «شامي»، كلي الحماية والرعاية، ويشرف عليه عتاة الأجهزة البوليسية.

ولعل أفضل ما أختم به استنكاري هذا تلك الكلمات الحميمة الصادقة التي قالها الأستاذ كيلو في آخر مقالة قرأتها له، وهي أشبه ما تكون بالكوميديا السوداء التي تعبر عنها أوراق «نعوات سورية» في مدينته اللاذقية، إذ يقول:

«هذا الحال، بدأ يتغير في السنوات الأخيرة، حيث تشكلت في المدينة لجان تعنى بالعمل الوطني الديمقراطي، انتسب إليها طوعيا ولأغراض بعيدة كل البعد عن أي غنم شخصي، جامعيون ومحامون وعمال ومدرسون وتجار وفلاحون وطلبة... الخ من جميع الاتجاهات السياسية والأديان، جعلوا همهم وصل ما انقطع من لحمة بين المواطنين، على أرضية المواطنة، التي تكفل لهم المساواة والحرية. وذلك بصيص الضوء الوحيد في عتمة الواقع المقيت، الذي جعل مدينة عرفت 56 صحيفة ومجلة ومنتدى بين عامي 1925 و1958 لا تعرف اليوم غير جريدة فقيرة توزع 500 نسخة بشق الأنفس، وتخلو من أي منتدى للحوار أو أية ساحة للتنفس الفكري والروحي والوطني»...

هذا صوت ميشيل كيلو غير المهادن، وهو يستحق أن يحاكم عليه بتهمة «الخيانة العظمى»!.. فليس أعظم من أن تكون، حتى النفس الأخير، من عشاق الوطن مكافحا في سبيل استرداد الحرية والعدالة والكرامة إلى كل مواطن.. وإلى أن يزول آخر مظهر من مظاهر الظلم والفساد والطغيان.

---

* شاعر من سورية يقيم في ابو ظبي

الكاتب المسرحي النرويجي هنريك ابسن لا يزال يثير الجدل بعد قرن على وفاته

اوسلو ـ من بيار هنري ديهاي:

لا تزال اعمال الكاتب المسرحي النرويجي هنريك ابسن بعد مرور قرن على وفاته تجد اصداء في مجمل الاحداث التي يشهدها العالم اليوم على شتى الاصعدة من منافع الواقيات الذكرية في مكافحة الايدز في افريقيا الى تحرير المرأة في العالم الاسلامي.

وتنظم في الذكرى المئوية الاولى لوفاته في 23 ايار (مايو) 1906 عن عمر 78 عاما تظاهرات في جميع انحاء العالم من مسقط رأسه سكين الى اسفل اهرامات مصر مرورا بمنتزه سنترال بارك في نيويورك ونانكين في الصين، احتفاء باحد عمالقة المسرح في العالم واكثرهم عرضة للرقابة.

واوضحت نورا ابسن حفيدة الكاتب التي تحمل اسم بطلة احدى اشهر مسرحياته «بيت الدمية» ان سلفها «عالج مواضيع سياسية بامتياز وخطيرة للغاية مثل حقوق الانسان وحرية الصحافة وتحرر المرأة».

وقالت لوكالة فرانس برس ان «هذه المواضيع لا تزال على خطورتها في مناطق كثيرة» من العالم.

والعمل المسرحي الذي صدر عام 1878 اثار استياء في وقت لم يكن شائعا ان تخرج امرأة من المنزل الزوجي مثلما تفعل شخصية نورا «الزوجة النموذجية» التي تحولت الى امرأة متحررة ما جعل منها رمزا للحركة النسائية في العالم.

وادخل تعديل جريء في اخراج حديث لقصة نورا جعلها تصطحب معها اولادها عند مغادرة منزلها ما ادى الى حظر المسرحية في طهران، على ما روت «جمعية ابسن 2006».

ولقيت مسرحية «الاشباح» التي تنتقد مؤسسة الزواج والكنيسة المسيحية اللتين يقوم عليهما النمط الاجتماعي البورجوازي، المصير ذاته حيث خضعت للرقابة في بنغلادش بعد ان اراد المخرج احلال رجل دين اسلامي محل القس فيها.

وكان ابسن يقول ان «الحرية بنظري هي الشرط الاول والاسمى للحياة». لكن في مقابل كل عرض مسرحي يتم الغاؤه تقدم عروض غفيرة ما يجعل من ابسن الكاتب المسرحي الاكثر رواجا الى جانب شكسبير، حيث يقدم حوالى 130 عرضا مسرحيا لاعماله في الاسبوع.

واوضح اريك ادواردسن مدير متحف ابسن من شقة الكاتب التي يجري ترميمها «كان الكتاب المسرحيون اليونانيون يهتمون بالالهة والابطال، وشكسبير بالملوك والتجار الاثرياء. اما ابسن، فكتب عن اساتذة المدارس والخدم والنجارين، عن شخصيات لا تزال تملأ المجتمع اليوم».

وبالرغم مما تحتويه اعمال الكاتب النرويجي من تمرد على القيم السائدة، فقد عبر نتاجه جميع الحدود ليصل الى بلدان تبدو غير مؤاتية لمضامينه مثل الصين والهند وبنغلادش التي تصنف بحسب بنتاين باردسون مدير جمعية «ابسن 2006» بين البلدان التي تعرض فيها مسرحياته الاكثر.

وقال باردسون «كان يعالج مواضيع عصرية مثل سوء استغلال السلطة وحقوق المرأة وحرية التعبير والمبادئ الاخلاقية في الاعمال ومشكلات سياسية لا ترتبط ببلدان محددة وكان يقوم بذلك بدون ان يطرح نفسه كمنظر ايديولوجي».

وتابع ان «السلطات على يقين بان العرض المسرحي قد ينعكس تمردا لكن يصعب في غالب الاحيان منعه لان ذلك سيكون بمثابة ممارسة +التعري الفكري+. فمنع +بيت الدمية+ في بلد ما يعني الاعتراف بتعرض النساء فيه للقمع».

كذلك تستخدم اعمال ابسن في بعض الاحيان على سبيل لتوجيه فتعرض مسرحيته «الاشباح» في افريقيا القارة الاكثر اصابة بالايدز، لتوعية السكان الى اهمية الواقيات الذكرية.

والمسرحية التي صدرت عام 1881 من مسرحياته الاكثر اثارة للجدل اذ تتطرق الى محرمات اساسية في المجتمعات مثل العلاقات المحرمة والامراض التي تنتقل بالعلاقات الجنسية والموت الرحيم.

وتروي المسرحية قصة طفلة تموت اثر اصابتها بمرض هو على الارجح السفلس (الزهري) التقطها والدها خلال علاقة جنسية بدون حماية. وقال باردسون بهذا الصدد ان «عرض شخص يتألم من جراء اخطاء والده غالبا ما يكون اجدى من رفع لافتة لحمل الناس على استخدام الواقيات الذكرية». (اف ب)

قص

إبنة النهر الجليل: أنا لست جميلا

حسين سليمان*

■ الأغاني الحلبية التي تدور على مهل مثل نواعير حماة تغفل الزمن، فلا ترفع المياه ذلك لأنها لا تروي. كأن موشح «اسق العطاش» لا قيمة له. وقفن على المسرح يرقصن «السماح» وهنّ في الأعالي خشب وشجر لا سماء لها. ليس هناك شيء، بل أحلام نأخذها معنا الى النوم. أحلام الماسنجر المعطل الذي جاءنا متأخرا ذلك كي يؤكد مرة أخرى فكرة ابن عربي عن الحروف التي هي أرواح. هكذا نمت صورة حروفك يا ابنة النهر. يقول المتأخرون أنها حروف افتراضية. لكنها كيان كامل يرقد في خيالي، وما أعطاني الله من خيال فهو للحروف وللمبادرة الالهية التي أمسكتك مرة وعلى حين غرة جعلتك تقولين: أيها الجميل النادر، حين تزوجتُ جاءتني عراضة يقودها ديك ومعه دجاجاته، ووقفوا أمام باب المنزل. وتعيدين القول: أيها الجميل النادر! وأنت لا تعرفين لماذا أنا جميل، وكيف أصبحت جميلا ونادرا. وتتابعين القصة: أيها الجميل، كان الديك يلبس الكاوبوي ويستعير مسدسا خرافيا كي يصوبه نحو القلب. فأقول لك: نسيت أن تقولي أن السيجار كان بين شفتيه. والقضيَة كانت من أجل حفنة دولارات، هكذا ينبني الحب الذي صوروه في هوليوود، وعلى أننا لا نعرف أين موضع القلب، ولا يدري أين هو الهدف الصحيح فيصوب نحو الطاقية التي تطير بالدفع والهواء والصوت. وأنت تعرفين حين تمر الرصاصة في الفيلم كيف يصدر عنهاَ الأزيز: كنا نقلده ونحن صغارا «نييييووو» هكذا هو الأزيز في قلبي لأنه قد حرك مصدر الوجود، وكان الصراع على الذهب أساس بناء الولايات المتحدة، وهناك شاهد: كاليفورنيا مثلا التي مناجمها العملاقة ألهمت عبد الرحمن منيف في الكتابة عن مدن الملح. عندهم ذهب وعندنا ملح!

اليوم جئت من مدينة «نيو أورليانز ـ لويزيانا» التي أغرقها اعصار كاترينا السنة الفائتة.

لقد عمروا المدينة ـ تصوري! فالأمريكي sun of a gun يعرف ماهية الزمن. يسألون لماذا كل هذه الشوشرة على رسوم الكاريكاتير؟ فأجيبهم: ثقافة الشرق وأنتم لا تفهمونها. ثقافة لا زمن فيها ونواعيرها لا ترفع المياه التي تروي. لهذا تقف المنشدات عاريات ترفع الأذرع نحو السماء: اسق العطاش تكرما. وصوت الموسيقى وصوت الشابات... كان هناك وقت حيث الأساطير السومرية الفينيقية تعوم وتتوارد نحو البحر كي تسكب الملح فيه.

أنت، وراء هذا العصر!

كل يَوم مع واحد، وكل يوم مع شاعر. لسبب بسيط، أنت ملهمة الشعراء الذين فرغت جعبتهم منذ عشرين عاما. هكذا انتبهت الى الفراغ الذي يدور فيه أدبنا وشعرنا. وأنت بعيدةَ وحالة البعد قاتلة. «والقلب على فراق الحبيب....» أي حبيب؟!

«عرق هذيان وشيء من نساء...»..

كيف هو الحب معك هذه الأيام؟

حين يكون الحب نقوشا على جدران زينة ـ تلبسين في معصمك «الأساور الخضراء» الأساور الخضراء هو الفيلم الهندي، هل تتذكرينه؟ جاءنا الى القامشلي وعرضوه في سينما «حداد» أكثر من شهر. والنساء راحت تسأل أزواجهن: «دخيل الله تا نروح يا هو على الفيلم، بيقولوا الحبيبة فقيرة وهو غني وكان سيتزوج أخرى مثله غنية لولا أنها وقفت في حفل الزفاف تغني الأغنية الهندية التي رق لها الحبيب: خمرة الحب أسقنيها. ثم راحت تميل عليه وتقول له ليه! وأهل حلب بالذات في عام 1920 يعرفون معنى هذه الأغنية. فافتحي المسجلة على صباح فخري وشوفي.

الموسيقى الحلبية لا يعرفها الناس البعيدون. موسيقى ثقيلة، مارش من مئات الجنود الذين أودعوا قلوبهم في صدور حبيباتهم وذهبوا ينشدون: نحن مشينا على الحرب. وهم يعلمون أن النار القادمة ستضيع القلوب، النار القادمة لن تقتلهم فقط بل ستقتل أمهاتهم أيضا.

الأم الحبيبة المحبوبة ولا بنت مثلها في أوج الدنيا.

حين أعود بعد خمسة وعشرين عاماً بخفي حنين، وفارغ الوفاض، ومن دون حبيبة، وكنت قد قطعت عرض البحر وطوله، أقف عند النافذة وأقرأ من دفتر الحب: لا مناص فرائحة اللوز المر كانت تذكره بمصير الغراميات غير المواتية. فتقفز الأخت قائلة: هذا حسين! فيرتعش جسد أرسولا وهي في المطبخ وتقف، لا تقف، لا تعرف كيف تتصرف، تقف كتمثال، تفتح فاها، والسكين في يدها، ثم تصرخ كعادة نسوة اللاتين: لقد عاد ابننا يا بويندايا، هيا نحتفل بقدومه. فتقدم لي الطعام وتضع آنية تحت قدمي لتغسلهما. لكن الكولونيل المتقاعد الذي أسهم في جراحاته يقول: لا تكبري الأمور يا امرأة، قلت لك ألف مرة لا تدلليه ذلك كي يصبح رجلا بالمعنى الصحيح للكلمة. لقد ضيعتِ ابننا وصنعت منه امرأة!

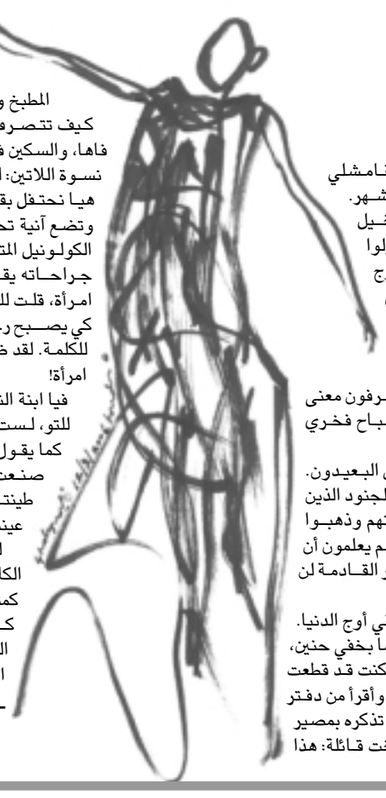

فيا ابنة النهر، هذا أنا وكما سمعت للتو، لست جميلا ولا نادرا ولكنني كما يقول ضباط البحر والبر: لقد صنعت الأم مني امرأة وعلى طينتها. وأنا لذلك جميل في عينيك.

لكن الأم لن تؤمن بهذا الكلام: فابننا يا كولونيل هو كمثل حوت هرمان ملفيل أو كمثل مارسيل بروست الذي لم يقطع الحبل السري يوما.

---

* كاتب من سورية يقيم في امريكا